

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بين يدي الكتاب

لعل ما نحاول الوقوف إزاءه في هذا الكتاب يعدُّ بحق هو أزهى ما يزدان به بستان البلاغة والفصاحة والبيان ؛ ولا نكون مخطئين إذا قررنا أن التصوير الفني للمشاعر والأفكار والأحاسيس هو الغاية الحقيقية لجميع فنون البلاغة وألوانها على اختلاف أقسامها التي انتهت إليها لدى المتأخرين ؛ حيث قسموها إلى علوم ثلاثة هي المعاني والبيان والبديع مع مقدمة في فن الفصاحة ، ولا شك أن هذه العلوم أو الفنون جميعها إنما تعنى ببيان طرق تصوير المعاني ، وعرضها في أبهى حلة ، وأحسن زينة ، وإذا كانت علوم البلاغة كلها تهتم - في رأيي - بتحقيق ذلك ؛ فإن علم البيان هو وحده من بين هذه العلوم الذي اختصه بدراسة فنون البيان التصويري ، أو التصوير البياني كما يحلو لي أن أسميه ؛ حيث إن هذا العلم وحده هو المختص بدراسة الصور البيانية المعهودة في التراث البلاغي من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز مرسل .

وإذا كانت هذه الفنون هي بحق أزهى ما في بستان البلاغة ، أو هي - في الوقت نفسه - أروع آلات التصوير وأطوعها في يد المبدع الفنان ؛ فإنني أقرر بحق أن التصوير الفني - على عمومته واتساعه لا يقف عند حدود هذه الصور الجزئية المحدودة؛ فأدوات التصوير وآلاته هي الكلمات على عمومها حقيقة كانت أو مجازا ، وقد يصور مبدع بالحقيقة ما يعجز عن تصويره مبدع آخر بمختلف صور المجاز .

ومن ثم فإننا نقرر أن جمال الصورة وفنيتها لا يقتصر على آلات التصوير البيانية المعهودة من التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل ؛ وإنما يتعدى ذلك إلى آفاق بعيدة توظف فيها جميع طاقات اللغة وإمكاناتها الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية والرمزية وغير ذلك.

وهذا ما سوف نعنى به في هذا الكتاب ؛ حيث نتناول علم البيان بمفهوم أوسع يقربه من مفهومه الذي عرف به قديما حيث يدلُّ على الإبانة والكشف والإيضاح وحسن التصوير للمعاني دون تقييد له بتلك الفنون الجزئية المحدودة ، وإن كنا لن نهمل دراستها - بطبيعة الحال - بل تتسع الدراسة لعرض أدوات التصوير الفني على جميع مستويات

اللغة الصوتية والمعجمية والصرفية التي تعنى بدراسة اللفظ دون التركيب الذي يختص بدراسته علم المعاني ، مع الدراسة المفصلة لفنون التصوير البياني وفق التخطيط المعهود وهي تشمل التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز موازين في ذلك كله بين النظرية والتطبيق ، والله الموفق ، لا ربَّ سواه ، نسأله المعونة والسادد .

عبد الحميد هنداوي